مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn : 2572- 0058 / E- Issn : 2676 - 1696
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:10 العدد: 01 جانفي (2026) ص 309 / 318

القطب أطفيش ومنهجه في التّأليف مخطوط الانشراح في بيان شواهد التّلخيص والمفتاح أنموذجًا

Al-Qutb Atfish and his method of authorship manuscript Al-Inshirah in the statement of the evidence of the summary and the key as a model

كمال شافعي*
جامعة باتنة 1(الجزائر)
مخبرالمتخيل الشفوي بين حضارة المشافهة من جهة وحضارتي الكتابة والصورة من جهة أخرى.
kamel.chafai@univ-batna.dz

السعيد بن ابراهيم
جامعة باتنة 1 (الجزائر)
مخبر أبحاث في التّراث الفكري والأدبي بالجزائر
brasaid2004@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/10./26
تاريخ القبول:
2025-06-16

الكلمات المفتاحية:
- ✓ منهج
- ✓ بلاغة
- ✓ شواهد
- ✓ بيان
- ✓ الشّيخ أطفيش

الملخص:

عديد من القضايا تطرّق إليها الخطيب القزويني في كتابه التّلخيص، عالج أهم المحاور التّي ترتكز عليها البلاغة في اللّغة العربيّة، بأقسامها المختلفة من علم المعاني والبديع والبيان، وليس بالوحيد من ألّف فيها، فقد سبقه كثير من علماء العربيّة، كما جاء بعده العديد من الباحثين في المجال عبر عديد العصور التّي تدرّج خلاله علم البلاغة، فألّفت الشّروح والحواشي والتّلخيصات، ومن بين المتأخرين الذّين ألّفوا وشرحوا تلك الكتب نجد القطب أطفيش من غرداية بالجزائر؛ حيث أولى عناية كبيرة بهذا المؤلّف فشرح جميع الشّواهد الشّعريّة التّي وردت فيه، من خلال مخطوطه" الانشراح في بيان شواهد التّلخيص والمفتاح، وسنحاول في هذا البحث الحديث عن أهمّ المواد التّي وردت فيه وأهمّ القضايا التّي عالجها باختصار من خلال تتبّع أسلوبه الذّي سار عليه حتى يُيَسِّر للمتلقّي تلك المادة المعرفيّة، لنختتم هذا العمل بأهمّ النتائج المتوصّل إليها.

Abstract :

Article info

*المؤلف المرسل

القطب أطفيش ومنهجه في التّأليف مخطوط الانشراح في بيان شواهد التّلخيص والمفتاح أنموذجًا

Many issues addressed by Al-Khatib in his book Summary, dealt with the most important axes on which rhetoric, with its different sections of the science, and not the only one who wrote in it, it was preceded by many Arabic scholars, as came after him many researchers in the field through many eras during which the science of rhetoric was included, so I wrote explanations, footnotes and summaries, and among the late ones who composed and explained those books, we find the pole Atfish from Ghardaia, Algeria, where he paid attention Great for this author, he explained all the poetic evidence contained in it, through his manuscript" Al-Inshirah in the statement of the evidence of the summary and the key. In this research, we will try to talk about the most important materials contained in it and the most important issues that he dealt with briefly by tracking his style in order to facilitate the recipient of that knowledge material, to conclude this work with the most important findings

Keywords:
- ✓ *methodology;statement*
- ✓ *rhetoric; evidence*
- ✓ *Sheikh A'tfayyesh.*

مقدمة:

كَثُرت تلك الكتب والمخطوطات التّي ألّفت مِنْ قَبلُ في مجالِ البلاغة العربيّة وعلومها الثّلاثة، والمتأمّل هُنا لها يتساءل هل من جديد في طرح القضايا؟ أم أنّ الجديد غير المادّة من خلال أسلوب العرض والتّناول؟ ففي هذا البحث سنحاول طرح أحد الكتب التّي ألّفها العالم أطفيش الجزائري، الذّي يعتبر أحد أهمّ العلماء الباحثين في وقته، ذاعَ صَيته في المشرق والمغرب، وكانَ مَضربًا في الابداع والتّأليف، فالشّيخ أمحمد بن يوسف-رحمه الله- من أولئك الذّين يقلّ نظراؤهم من العلماء الجزائريين عبر عصورها، كانَ يجمع بين شتى العلوم وسعة فيها، دقيق النّظر والتمحيص، كان في عمره الطّويل باع في خدمة العلم موفقًا في ذلك متواضعًا أمام طلّابه ومعلّميه، كان مستقيما متخلّقًا داعيّا إلى الامر بالمعروف والنّهي عن المنكر خلال أيّام حياته.

تنوعت مؤلفات القطب جميع العلوم المعرفيّة وتعدّدت، ففي البلاغة العربيّة نجدها كثيرة منها كتابه المسمّى بالانشراح في بيان شواهد التّلخيص والمفتاح وهوّ مخطوط لم يحقق بعد؛ حيثُ سنتعرض إلى المباحث البلاغيّة والنّحويّة التّي وردت في المخطوط، كذلك سنتحدث عن أسلوب القطب أطفيش في عرض شرحه لأمّهات الشّواهد الشّعريّة التّي جاء بها صاحب التّلخيص، ثم نخلص إلى إبراز النّتائج، وقد انبثقت عدّة تساؤلات لعلّ من أهمّها:

- كيف كانت حياة القطب أطفيش؟
- ما منهجه في التّعليم والتّدريس؟ ومن هم أهمّ شيوخه وتلامذته؟ وأهمّ مؤلفاته؟
- وصف المخطوط، وما منهج الشّيخ أطفيش في استعراضه؟

سنُحاول الإجابة عنْ هاته الأسئلة في هذهِ الورقة البحثية، مُتبعين المنهج التّاريخي الوصفي للكشف عن خبايا الموضوع.

2.لمحة عن شخصيّةأطفيش ومراحل تعلمه:

1.2نبذة عن حياة القطب:

نشأ القطب هذا المفهوم من خلال الدراسات العلمية المتتالية التي أسفرت عن ظهوره وفي استعراض لأهم المحطات التاريخية التي أسهمت في تبلوره، فكانت ولادته سنة 1236ه الموافق لي 1818م، امّا نسبه فالشّيخ معروف بامْحَمَّدْ بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرّحمن بن عيسى بن إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن بكير الحفصي(يقضان، 1935م، صفحة 24)، أحد أهمّ شخصيات آت يسجن من ولاية غرداية الجزائريّة التي تركت بصْمتها وسجّلت اسمهَا في تاريخ البلدة من خلال جِهادها في أحدٍ من المجالات الدِّينيَّة والعلميَّة والثّقافية والتّعليمية والاجتماعيَّة، ونجد في بعض كتبه أنّه يُنهي نسبه إلى أبي حفص عمر بن الخطَّاب.

في الرّابعة من عمره توفي والده وهو لا يزال صغيرًا على مشاق الحياة، ليعيش يتيمًا، لترعاه والدته السيّدة مامة ستِّي بنت الحاج سعيد بن عدّون، من عشيرة آت يدّر المشهورة ببني يزقن (بحاز، 1999م، صفحة 830)، عملت والدته ما في وسعها من اجل أن يتجه ابنها إلى العلم فكان لها أثر كبير في ذلك بعد وفاة والده،

ولولاها لاتجه اتجاهًا ماديًّا غير أخلاقي يؤدي به إلى الجهل وسوء الأمر كما أدّى بكثير من اليتامى، وأبناء الأمّهات الجاهلات الغافلات عن تربيّ أبنائهن بعد فقدان السّند، فلقد رأت في ولدها ملامح الجدّ والنّبوغ، فقدّمته إلى أحد المعلّمين لحفظ القرآن، فختمه وحفظه وهوّ ابن الثّمان سنوات، لينفتح على مجال العلم.

أتجه الوَلدُ إلى مراكز ودور العلماء وحلقات الدّروس في المساجد، فبدأ في تعلّم مبادئ النّحو العربي والفقه الاسلامي عن المشايخ ثمّ أخيه الأكبر الشّيخ ابراهيم بن يوسف، كما تلقّى أبجديّات علم المنطق عن الشّيخ سعيد بن يوسف.

ونشير إلى أنّه نشأ عصاميًّا معتمدًا على نفسه في تكوينها وتثقيفها، كان ملازم للبيت والمسجد قليل السّفر في مراحل تعلّمه الأولى، اكتفى باقتناء الكتب من الزوايا بغية دراستها والاطلاع عليها، رغم قلة السعة والحيلة، ولهذا فقد كوّن مكتبة عظيمة الشّأن فيما بعد، وفقد ساهمت تلك المجلوبات من الكتب على غزارة علمه واطّلاعه على شتى المعارف والعلوم من خزائن المكتبات، منها خزانة الشيخ ضياء الدّين الثّميني(بحاز، 1999م، صفحة 835).

عمل على التّدريس وتأليف الكتب حينما بلغ السّادسة عشرة، ولمّا بلغ العشرين أصبح القطب عالم بني مزاب؛ حيثُ بلغ أقصى درجات الاجتهاد، تزوّج من امرأة كانت بمراتب عليا في العلم والثّقافة، تملك مكتبة عامرة بالكتب والمخطوطات التّي ورثتها من أبيها، ليساهم بذلك على إنشاء معهدٍ للتّدريس بالمنطقة؛ إذْ تخرّج منه العديد من العلماء والمجاهدين والمصلحين تجاوزت شهرتهم ربوع البلاد.

2.2 التّعليم عند القطب:

للشّيخ أطفيش منهج خاص في التّدريس يعتمد على الاستغلال الجيّد الوقت، والتّركيز في تلقين الطّلاّب؛ إذْ تستمر دروسه طيلة أيّام الأسبوع، من الصّباح إلى الزّوال، وتارة يزيد دروسًا في المساء، ولا يدرّس عادةً في اللّيل إلّا الغرباء والنّجباء والمتفوقين؛ لأنّه كان يخصّص كلّ ليلة للتّأليف والرّدّ عن الرّسائل الواردة إليه(خالدي، 2017م، صفحة 42). اشتهر بسماحته وطول باله، فقد كان غزير المعرفة أمينًا ومتفانيًّا في عمله، ومهتمًّا بشتّى مجالات المعرفة(دبوز، 1965م، صفحة 363)، **وبهذا المبدأ قصده الطّلبة من مختلف الأوطان الإسلاميّة، كلّهم عاملون في مختلف ميادين الحياة؛ تأليفًا، وتعليمًا، وقضاءً، وبلغَ عدد تلاميذه الكثير ومن أشهرهم: إبراهيم أطفيّش أبو إسحاق العالم الكبير المحقّق والمدقّق، وإبراهيم الابريكي، إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان رائد الصّحافة العَرَبِيَّة في الجزائر، أعماره بن صالح بن موسى، بابكر بن الحاج مسعود، داود بن سعيد بن يوسف، سليمان باشا الباروني من ليبيا، والمؤرِّخ سعيد بن تعاريت من تونس، وغيرهم من الطّلبة العلماء.**

3.2 وفاته: توفيّ الشّيخ يوم السّبت 25 ربيع الثّاني1332هـ/ 1914م، وكان بسبب مرض أُصيب به، بعد أن قضى قرابة قرن في الجهاد العلميّ، والإصلاح الاجتماعي(بكير، 1999م، صفحة 835).

3. منهج الشّيخ أطفيش في مخطوطه الانشراح في بيان شواهد التّلخيص والمفتاح:

لنا أن نُلقي نظرة في كِتاب القطب مِحورَ دراستنا، فإنّنا لواجدون فيه من الإشارات ما دخَل فيما بعد تحت مسمى البلاغة، غير أنّه لم يرد ذكر الاسم في كتابٍ من الكتب المترجمة للشّيخ، فهوّ من المؤلفات التي أُكتشفت حديثًا، وممّا يثبت اسم الكتاب ما ورد في مقدّمة المؤلف: وسمّيت هذا الشّرح بـــــالانشراح في بيان شواهد التّلخيص والمفتاح(يوسف، الانشراح في بيان شواهد التّلخيص والمفتاح، 1904م، صفحة 2)

1.3المنهج المُتّبع في المخطوط والغرض من تأليفه:

إنّ التّمعنّ في كِتاب القطب مِحورَ دراستنا نجدُ فيه من الإشارات ما دخَل فيما بعد تحت مسمَّى البلاغة، ولم يرد ذكر اسم المخطوط في كتابٍ من الكتب المترجمة للشّيخ، فهوّ من المؤلّفات التّي أُكْتشفت حديثًا، وبعد الخوض في تفاصيل المخطوط نعرج بعدها على كتابي التّلخيص والمفتاح وماهيّة علم البلاغة وفروعها.

ببيوغرافيا عن المخطوط:

المخطوط من نسخ القُطب نفسهمحفوظ في مكتبته التّي يُديرها حفيده من قسم المخطوطات ببني يزقن بغرداية، وجاءت النّسخة مكتوبة بخط مغربي جيّد مقروء، خاليّة من تاريخ النّسخ، وبهوامش صفحاتها استدراكات لبعض العبارات والألفاظ السّاقطة من المتن، وهيّ بخط المتن نفسه، يبتدئ المخطوط بخطبة

المؤلف، أمّا صفحات المخطوطة فهيّ في حدود 365 ورقة، ومرقّمة من أعلى وهوّ ترقيم لربما أُضيف إليها حديثًا، في حالة جيّدة ميّز فيها المُؤَلِفُ بين كلامه والشّواهد التّي في الأصل فجعلها باللّون الأحمر.

بعد هذا التّقديم تفتتح المخطوطة بكلام الشّيخ: أمّا بعد فلمّا فرغت من تلخيص المعاني من ربقة جمل المثاني في فنّ المعاني وبيان البيان وربيع البديع، دعاني داعي إلى شرح شواهد القزويني والسّكاكي، فهو بذلك رد لبعض من سأله أن يلف لهم مثل هاته الشروح ، ويواصل حديثه فيقول: والمقصود بالذّات شواهد الأصل، لانتشاره في الأقاليم والدّولة.

بعد ذلك يقدم اسم الكتاب بقوله: وسمّيت ذلك الشّرح تسهيل الاجتهاد في تفسير أشعار الاستشهاد، للإشارة هنا فقد ورد اسم المخطوط كما أشار إليه المؤلف.

تعتبر هذه المخطوطة من المدوّنات العريقة التي أنجبتها السّاحة العلميّة الجزائرية المنتسبة إلى العلاَّمة "أطفيش" إذْ وردَ في خطبته من الكتاب: " قال شارح الشّواهد مُؤلف هذا الكتاب أمحمد بن الحاج يوسف أطفيش أزيد رابعًا هو ابن مالك في علمه ونحوه ". ويقول أيضًا: " وكانَ نديمًا له، قال الشّارح محمد أطفيش: المشهور في أبيات ألا عللا قبل نوح النّوائح إنّها لهديّة.

أضف إلى ذلك ما تضمّنه المخطوط من إحالات على كتب خاصّة به مثل: "تسهيل الاجتهاد في تفسير أشعار الاستشهاد" يقول الشّيخ:" وأحيل على شرح شواهد الشّريف وأبي سليمان داود، وأبي القاسم الدّاوي ما ذكرت فيه من القصائد، وسمّيت ذلك الشّرح تسهيل الاجتهاد في تفسير أشعار الاستشهاد" حيث ذكرَ هنا أسباب التّأليف.

كما يعود السّبب إلى ما أورده في مقدّمته أين يُشير؛ وقد دعاني داعي إلى شرح شواهد القزويني والسّكاكي، والمقصود بالذّات شواهد الأصل لانتشاره في الأقاليم والدّولة. فقلّة مثل هاته المصنّفات التّي تتناسب ومستوى المبتدئين في التّعليم في معهده، فأغلبُ الكتب الموجودة هيّ لذوي الاختصاص.

2.3 كتاب التلخيص وعلم البلاغة العربيّة:

1.2.3 كتاب التّلخيص:

قدّم الخطيب القزويني في كتاب التّلخيص العديد من المواضيع والمحاور الهامة في البلاغة؛ حيث قام بدراسة أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل، والقصر والإنشاء، والفصل والوصل في علم المعاني، أمّا علم البيان فتطرق فيه إلى التشبيه والحقيقة والمجاز والاستعارة بالكناية، وما مذهب السّكاكي في الحقيقة المجاز؟ و باب تحسين الاستعارة، والمجاز بالحذف، وفي علم البديع المطابقة والإرصاد ومراعاة النّظير، المشاكلة والمزاوجة والعكس والرّجوع والتّورية، وحسن التّعليل والمدح وغيرها من الأبواب المهمّة.

وقد مشى القزويني على هذا المنوال لإغراء المتلقّي والوصول إلى ترتيب جديد من شأنها أن تساعده على الفهم ، وخاصة بالنّسبة للمتعلمين المبتدئين، وإنّها لفكرة جيّدة لمحاولته هذه، وهذا ما أراده أطفيش من خلال كتابه(القادر، 2015م، صفحة 36،39،41)، ولم يعد هناك ضرر للتّقدم العلمي للبلاغة أكثر من أي علم آخر في لغة العديد من الكتابات.

2.2.3**علم البلاغة:**

البلاغة من أشهر علوم اللّغة منذ أيّام القدم، هي علم ملازم للفصاحة والبيان ممّا يجعلهَا دليلًا واضحًا على مكانة الأدب وإبراز ما فيه من جماليّة وصنعة أدبية وفنّية (حسين ، 2012م، صفحة 62).

وذلك ما يفسّر اهتمام الدّارسين الأوائل بها ومنحها أيمّا اهتمام، فكانت الحكم على جودة الشّعر وإتقانه، ولا زالت كذلك حتى يومنا هذا.

وأصل الكلمة من المادة اللّغوية بَلِغَ فبَلُغ الشيء أي وَصَلَ انتهى إليه وشخص بليغ فصيح اللّسان وحسن البيان.

أما في الاصطلاح فهيّ إيضاح الملتبسات، وكَشْفُ عوار الجهالات، من العبارات وعرفها الخليل: البلاغة لا تقتصر على التّعبير فقط، بل تهدف إلى تحقيق غايتها،فإذا تمكّنتَ من جعل كلماتكَ تعكس معانيهَا بدقّة، وتصويرِ حالتكَ بواقعيّة، وجعل كلامك الأخير متناغمًا مع مصادره فافعل ذلك. وقد أوضحها ابن المقفع بأنها اسم يضمُّ معانٍ متنوعة، فمنها ما يكون في السّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة،

ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون ابتداءً.(حسين ، 2012م، صفحة 61)، وعرّفها الخليل: البلاغة ما تؤدّي إلى قضاء أمرها، فإن استطعتَ أن يكون لفظكَ لمعناكَ طبقًا، ولفلك الحال وقعًا، آخر كلامك مشابهًا، وموارده لمصادره موازنًا فافعل.(حسن، 1994م، صفحة 435).

وعرّفها ابن المقفع بقوله: هيّ اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون ابتداءًا(المراغي، 1992، صفحة 8)، ويجب التّأكيد أيضًا على أنّ عبد القاهر الجرجاني أشار في كتابه دلائل الإعجازإلى أنّ الشّعر يحتوي على بلاغة تقارب بلاغة القرآن، وأنّ العرب كانوا يتبارون في فصاحة الشّعر لإظهار تميزهم (الجرجاني، 1992، صفحة 25)

ولا يمكن إخفاء أهميّة البلاغة في دراسة اللّغة سواء في الماضي أو في الحاضر، حيث تُعتبر الوسيلة المثلى لفهم إعجاز القرآن الكريم، وتجاهلها يؤدّي إلى عدم إدراك إعجازية نظام القرآن، كما لا يُخفى أنّ للبلاغة أهميّة في الدّرس اللّغوي قديمًا وحاليًّا، وتهيّ الوسيلة المناسبة لمعرفة سرّ الاعجاز في القرآن الكريم، كما يؤدِّي الإغفالُ عن تقسي علومها إلى عدم إدراك إعجاز النّظم القرآنيّ، فوجب إذن على الدّارسين الإحاطة بقواعدها التّي تجعل من الإنسان فصيحًا بليغًا(مدني، 2011م، صفحة 15).

3.3 منهج الشّيخ أطفيش في عرض أفكاره وشرحه:

مشى الشّيخ في عرض أفكاره على طريقة معاصريه من العلماء ومن جاءوا قبله، وتركّزت مساهمته في شرح الشّواهد برجوعه إلى المصدر، فهوّ يعدّ من القلائل الذّين خصّصوا للبلاغة وفروعها كتبًا مستقلّة في الجزائر خاصّة، وكتابه دليل واضح في ذلك، فقد كان المرجع نفيسًا جمع فيه كلّ الشّواهد الشعريّة التّي وردت في كتابي التّلخيص والمفتاح، ونلاحظ تطوّر الشيخ في شرحه للأبيات تطورًا متميزًا في كثير من الأحيان، فكان المخطوط من الكتب المستقلة حول البلاغة وعلومها في الجزائر.

يحتوي المخطوط على شواهد تلخيصيّه مميّزة، صاغها بدقّة واهتمام كبيرٍ، وقدّم شروحات متعددة للمؤلف، مشيرًا إلى أهميّة تعلّم علوم البلاغة قبل الالتفات إلى العلوم الأخرى.

وجديرٌ بالتّنبيه إلى عناية القطب بشواهد التّلخيص والمفتاح، وقد تناول شرح أغلب الشّواهد الشّعريّة التّي وَردت في الكتابين، محاولًا الإحاطة بها وبمعانيها، فعلم البلاغة وفروعها من أجلِّ العلوم قدرًا؛ إذْ به تُعرف العربيَّة وأسسها، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نَظم القرآن الكريم ،وكان كتاب مفتاح العلوم أعظم ما صُنِّف في البلاغة والمشهور نفعًا، ومع ذلك كان غير مصون عن الحَشو والتّطويل والتّعقيد، قابلًا للاختصار، غاب عنه الكثير من الإيضاح والتّجريد، وبسبب ذلك ألّف علمائها المختصرات أين تضمّنت ما فيها من القواعد.

والمتتبع لشرح الشّيخ يُلاحظ في كثيرٍ من المناسبات عدم التزامه بنهجه المحدّد سلفًا في الشّرح والاختصار، وذلك بذكر قول، أو احتمال واحد أو اثنين لا غير.

لقد خصّ أطفيش القسم الأوّل لشرح شواهد علم المعاني، المعروف على أنّه ذلك العلم الذّي يختصّ بالمعاني والتّراكيب وبدراسةِ النّصِ كاملاً، وينقسمُ العلم إلى مجموعةٍ من الفروع، ومن أهمّها الخبر والإنشاء، وقد قدّم أطفيش في هذا القسم الشّواهد الشّعرية، والتّي تناول فيها الحديث عن شواهد كل من الإسناد الحقيقي والإسناد المجازي، أحوال المسند إليه والمسند، أحوال متعلّقات الفعل، الخبر أغراضه وأقسامه، الإنشاء نوعه وأغراضه الحقيقية والمجازيّة، الإنشاء الطّلبي وأنواعه كالأمر والنّهي والاستفهام والنّداء والتّمّني، ثمّ الإنشاء غير الطّلبي ومنه القسم والترجّي وصيغ العقود والتعجّب وأيضًا النّفي والتّوكيد والقصر وكذلك تحدّث عن الفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة، وأمّا القسم الثّاني فجعله لعلم البيان؛ إذْ يُعرف على أنّه أسلوب لتوضيح دلالةِ الكلمات من خلال فهم معانيها في سياق النّص(القزويني ا.، 2003م، صفحة 22)، وقد أتى بشرح الشّواهد التّي شملت أقسام علم البيان ومنها التّشبيه، وأقسامه بالنّظر إلى الأداة، وأقسامه بالنّظر إلى وجه الشّبه، وأنواعه وأغراضه ومحاسنه ومعايبه وإلى غير ذلك، وكلّه في النّهاية يصبّ في باب التّشبيه، الحقيقة والمجاز ويندرج تحت هذا الباب تعريف الحقيقة والمجاز، ومن ثَمّ المجاز العقلي والمجاز اللّغوي، وتأتي بعدها الاستعارة وأنواعها وأقسامها وخصائصها، أمّا القسم الأخير فكان لعلم البديع الذّي به يعرف وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدّلالة(القزويني ا.، 2003م، صفحة 23)، وقد شملت الشّواهد في هاذ القسم الجناس بنوعيه التّام والنّاقص، ثم أتى بشواهد الطّباق فشواهد المُقابلة.

وشملت الشّواهد أيضًا أقسام عِلم البَديع وهيّ الجناس بنوعيهالتّام والنّاقص، ثم أتى بشواهد الطّباق فشواهد المُقابلة.

وواضحٌ تسلسل شرح الشّواهد الشّعريّة عنده وفق رُؤية واضحة، وارتباطها بمنهج قويّ عنده، فسارَ في شرحه وفق ترتيب شواهد الكتابين، وهذا التّرتيب الذّي انتهجه ترتيب مُمنْهج، ولهذا فلا غرابة أنْ نجد هذا التّرتيب هو السّائد في جل كتابه إلّا نادرًا.

فكان شرحه يتجاوب مع العديد من المبادئ، لكن في بعض الأحيان لم يلتزم بنهج واحد، واستخدم أحيانًا اسلوب الاختصار الذّي يفتقر إلى التّوضيح والتّجريد، فأراد أن يقدّم مؤلّفه في صورة أخرى تناسب المبتدئين، وتسهّل لهم تعلّم علوم البلاغة، فأتى بالبيت الشّعري وشرحه وبيّن موقعه من المعنى، وقدّم قائله مُعرّفًا به ومآثره وأشعاره وبعضًا من آثار حياته في قالب جمالي يخدم المتلقي المتصفّح، وتبدو الطّريقة الاستطراديّة هيّ الغالبة في تأليف، وهذا ما لا نجده جليّاً عند أطفيش، الذّي يميل إلى الاختصار في كثير من الموضوعات التّي يتناولها، فلم نرى استطرادًا إلّا في موضوعات الإعلال والإبدال والإدغام. مع أنّهكان للمؤلف اهتمامٌ خاص بشواهد التّلخيص؛ حيث قام بشرح معظم الشّواهد الشّعرية المذكورة في الكتابين، وقد قام بإضافة وشرح بعض الشّواهد التّي تخدم شرحه، بعد أنْ درسها واستوعبها، ورغم من أنّ كتاب مفتاح العلوم صُنِّف من بين الكتب المشهورة، إلّا أنَّه كان غير مصون من الحَشو والتّطويل، فكان قابلاً للاختصار والاختزال.

واستنادًا إلى ما سلف ذكره، يمكن القول بأنّ القطب شرح الأبيات الشّعريّة بعناية فائقة، فقد طرح آراءً صائبة، وكان مُولعًا بإشعال المسَائل النَّحويّة في المجامع التّي يحضرها، وقد فاقَ أطفيش معاصريه في المنهج التّفسيري، فالخفّة والثّقل أصلين أساسين لمعظم تفسيرات وشروحاته، فهوّ ينوّع في تفسيره الظّواهر البلاغيّة التي يتناولها، فلا نجده يتوقف أمام ظاهرة بلاغيّة ونحويّة إلاّ درسها وعلّلها، فلا تعجزه مسألةٌ كانت، وهذا في الوقت الذّي نجد فيه بعضًا من الباحثين ييأس بما لم يستطيع تعليله، وقد صدَقَ المازني حين قال» *:اعلم أنّ العرب في الماضي كانوا يحذفون بعض الأمور من حديثهم، رغم وجود ما هو أثقل منها، كما كانوا يستثقلون بعض العبارات، رغم وجود تعبيرات أثقل منها، وقد فعلوا ذلك لتجنّب كثرة ما يستثقلونه في كلامهم. لذا، ضع الأشياء في مواضعها المناسبة، واحذر ممّا حذِروا منه، واعتبر بما قاموا به، فستصل إلى هدفك*) «الموصلي، 1954، ص 3–4.(وكان أطفيش قد نهج طريقةَ الاعتماد على شرح الألفاظ باستعمال أسلوب الإطناب؛ فيورد معانيَ عدّةً للفظة الواحدة، كونَ هذا المؤلّف تعليميًّا. يقول» :المعنى الظاهر هو أنّ الله سبحانه وتعالى قد أضاء وجهه وجعله مشعًّا بالنور الحقيقي .«وأيضًا» :فحمله على معنى جعله ذا سراج بالمشابهة تخريجٌ على وجهٍ بعيد .«ويورد شرحًا بعده فيقول» :إذا كان سُرُج بهذا المعنى غريبًا، فإن المأخوذ منه هو مُسرِج، وإذا قلتَ إن الكلام في سُرُج بمعنى بهجةٍ وحُسن، فإنما أوضحته في تخريجه على الوجه البعيد يتعلّق بمعنى جعله ذا سراج بالمشابهة لبهجته وحُسنه .«ولا يزال في شرحه لمعنى الكلمة السابقة، ولا وجودَ لـ«سُرُج» بمعنى الجعل كالسراج، أو التشبيه بالسراج في اللغة، بل هو لفظٌ مولَّد أخذه المولَّدون من السراج (يوسف، الانشراح في بيان شواهد التلخيص والمفتاح، ص 56.(

ويجوز أن يكون «مُسرَجًا» وصفًا للسيف بالسِّرَاجي لكثرة صفائه ورونقه، حتى كأنّ فيه سراجًا. ومن السراج قيل: «سرّج الله أمرك»، أي حسّنه ونوّره. فنراه هنا يُكثر من التعليل والشرح للكلمة نفسها، كما يتجنّب التكرار في بعض المسائل إلا نادرًا، وإن أتى به لجأ إلى الاختصار. يقول» :*إن اللقب الأكثر شهرة هو سيف الدولة، وإن كنتَ ترى أنّ الاسم أيضًا له جاذبية، فأقول إن اللقب أكثر شهرة؛ لأن الملوك يُعرَفون بألقابهم بدلًا من أسمائهم تكريمًا لهم*.«

والجِرشِّي يُنطق بكسر الجيم والراء مع تشديد الشين، وهو شريف النسب لكونه عبّاسيًّا، والأغرّ يُشير إلى الخيل ذات الجبهة البيضاء.

.

كما نجده كثيرًا لا ينسب النّصوص إلى أصحابها، وأوردها مسبوقة بعبارة: قال بعضهم، وقال بعض، وقيل، وقالوا، وعن بعض، وعن بعضهم، وذكر بعضهم ومن ذلك: فقال بعض الحاضرين، لو أنشدها قائماً لأسمع، فإنّ أكثر النّاس لا يسمعون، ومنها أيضًا: وقال بعضُ العلماء بالشّعر لم سُئِلَ عن أبي تمّام: كأنّه جمع شعْر العالم فانتخب جوهره.

وهوّ بذلك يخالف المنهج المتّبع في البحوث الأكاديميّة، ويبدو أنَّ أطفيش كان يهدف من وراء ذلك شغل المتعلّم المبتدئ بالنّصوص أكثر من مُؤَلفيهَا، وهوّ المُبتغى إليه في الكتب المدرسيّة التّعليميّة الحديثة.

ومنْ خلال شرح الشّيخ نراه أوّلا يتتبع كلمات المتن شرحًا وتوضيحًا، وذلك بالاستعانة بالمعجم أحيانًا، وبشرح القاعدة النّحويَّة ومَا جَاء فيها من أوجه مختَلفة أحيَانًا أخرَى، مُستعينًا في ذلك ببعض أقوال العُلماء في المسْألة ومَوقفه مِنْهم.

إنّ المتتبّع لشرح الشّيخ يسجّل عليْه وفي كثيرٍ من المناسبات عدَم التِزامه بنهجِه المحدَّد سلفًا في الشّرح والاختصار، وذلك بذكر قول، أو احتمال واحد أو اثنين لا غير-كما قال- بل نراه يسهب في المسألة الواحدة بعديد الآراء والاحتمالات الممكنة، كما هوّ الشّأن في اشارته:أو هو منسوب إلى السّراج في اللّمعان؛ أي منسوب إلى السّراج أو إلى السّيف السّريجي بالمُشابهة، ومنه أيضًا مسألة تصغير سراج سرّيج بتشديد؛ أي لتكون فيها ياء التّصغير، والإسراج بأن تُقلب ياءًا، فلو لم تشدّد كان أيضًا خلاف القيّاس، وإذا قُلنا: مسرجًا مأخوذ من السّراج كان هو القسم الثّاني من الغريب. فترى هاذ الكمّ الكبير من الآراء في المسألة الواحدة.

وقدّم المؤلف مختصرات تضمّنت القواعد تعكس رؤيته الخاصة، فشمل الشّرح لعلم البيان والبديع العديد من الاقسام والتّفاصيل، وظهر تسلسل واضحٌ في شرحه ينْسجم مع منهج قوي، و على الرّغم من أن التّرتيب الذّي اتبعه كان منظمًا، فقد قام بإضافة بعض الشّروحات التّي تخدم فهم المتعلمين بشكل أفضل.

4. خاتمة:

في ختام هذا البحث، يمكننا أن نستنتج أنّ الحياةَ العلميّةَ للقطب أطفيش كانت أكثرَ غنىً وعمقًا من رحلات العلماء السابقين؛ فقد تمكّن من ترك بصمته القويّة في مجالات متعدّدة، بدءًا من الدِّين وصولًا إلى المجتمع والسّياسة. وقد كتب في مجالاتٍ متنوّعة، مثل: علوم القرآن، والتوحيد، والحديث، والسِّيرة، والفقه وأصوله، إضافةً إلى التاريخ وعلوم اللغة والمنطق وغيرها من العلوم. وقد كانت علومُ اللغة تمثّل نقطةً محوريّةً في نشاطه الدّعوي والتعليمي؛ إذ استخدمها أداةً فعّالةً لفهم علوم القرآن والحديث وتبسيطها، وكانت هذه الغاية واضحةً في أعماله اللغويّة.

-
- ويمكننا تحديد بعض النقاط التي تميّز هذا الشرح في ما يأتي:
-
- في تقديمه لشواهد التلخيص والمفتاح، قام الشيخ بعرض هذه الشواهد وتنظيمها وفق الطريقة نفسها التي اتّبعها القزويني والسكاكي في مؤلّفاتهما؛ إذ كان الهدف الرئيس توضيح تلك الشواهد وشرحها شرحًا مفصّلًا، كما أُشير إلى ذلك منذ البداية.
-
- يتّضح تسلسل شرح الشواهد الشعريّة عند أطفيش وفق رؤيةٍ واضحة ومنهجٍ قويّ؛ إذ يسير في كتابه وفق ترتيبٍ مشابه لترتيب مؤلِّفي التلخيص والمفتاح. وهذا الترتيب المنهجي الذي اعتمده أطفيش يفسّر انتشار هذا النمط في العديد من المصنّفات البلاغيّة التي أُلّفت لاحقًا.
-
- يتّبع القطب في عرضه للشرح أسلوبَ معاصريه ومن سبقوه؛ إذ يبدأ المخطوط بتوضيح الهدف من التأليف، ثم يذكر التسمية وسبب اختيارها، ويعرّف بصاحب التلخيص، ليشرع بعد ذلك في صلب الموضوع من خلال تتبّع شواهد التلخيص والمفتاح بصورةٍ متسلسلة.
-
- بذل القطب جهودًا كبيرةً لتيسير طرح قضاياه؛ فجاء الشرح مدعومًا بآراء كبار العلماء واللغويين من العصور القديمة والحديثة الذين استند إليهم، واعتمد في ذلك على مجموعة متنوّعة من الآيات القرآنية، والشواهد الشعرية، فضلًا عن بعض الأحاديث النبوية، والأمثال، والأقوال المتداولة.
-

- أولى أطفيش اهتمامًا كبيرًا بشرح الأبيات الشعرية، وكانت آراؤه دقيقةً في العديد من المسائل الخلافية، كما كان حريصًا على إثارة القضايا النحوية في المجالس التي يحضرها، وقد تميّز عن معاصريه بمنهجه التحليلي التعليلي.
-
- يجد المتتبّع لخطى القطب في هذا الشرح بوضوح أنّه يسير على نهج المدرسة البصريّة في كثير من الآراء والاحتمالات، وهو ما يظهر جليًّا في تأثير هذه المدرسة في آرائه في معظم الأحيان. وقد يميل في بعض القضايا نحو المدرسة الكوفيّة ويفضّل آراءها، غير أنّه غالبًا ما يعرض آراء الفريقين متتابعةً في المسألة الواحدة، ويترك للقارئ حرية الاختيار بينهما..
- اعتمد القطب في تقديم شرحه على كثير من الشّواهد، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الحديث أو من الأبيات الشّعريّة، كما رَجَعَ الشّيخ إلى طائفةٍ منْ أقوال وأمْثال العَرب.
- كان القطب يستطرد أحيانا، فيطيل الحديث دون الحاجة إلى ذلك، والمتتبع لشرح الشّيخ يسجّل عليه وفي كثير من المناسبات عدم التزامه بنهجه المحدّد سلفًا في الشّرح والاختصار.
- يبدو أن الشيخ لميُولِ كثيرا في تقديم تفصيلات حول جميع القضايا المتنازع حولها، لذهب في إحالتها إلى أصحابها، حيث ظهر تبعض الآراء الخاصة والعامة التي نسبها إلى أصحابها ؛إنّه من الأشخاص الذّين يولون اهتماما كبيرا بإظهار الرأي ا لذِّي يراه صحيحًا ويُظهر فساد الآراء التي يراها مشوشة، وقام بشرح شامل لآرائه بشكلٍ وافٍ.

وفي الأخير يُلاحظ أنَّ كتاب التّلخيص كان مؤلفه مُستطردًا في تأليفه، بينما كان آخرون، مثل أطفيش، أكثر اختصارًا في الموضوعات التي ناولوها، واستنادا إلى ذلك يُمكن القول بأن الشّيخ قام بشرح الأبيات الشّعرية بدقّة فائقة، وتخطى في منهجه التّعليلي معاصريه.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم برواية ورش. سورة آل عمران: 138.
2. بن بكير بحاز إبراهيم وآخرون،(1999م)، معجم أعلام الإباضيّة من القرن الأول الهجري إلى القرن 80هـ، القرارة غرداية‌الجزائر، الجزائر: جمعية التراث.
3. شارف عبد القادر، (2015م)، منهج الشيخ أطفيش في كتابه الكافي في التصريف، قراءة في المباحث الصّرفيّة، مجلة حوليات التراث، العدد 156.
4. امحمد بن يوسف أطفيش،(2001م) ، تيسير التفسير، ت/ إبراهيم بن محمد طلاي الجزائر، المطبعة العربيّة بغرداية، ج6.
5. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (1954م)، المنصف، دار إحياء التّراث القديم، ط1.
6. أبو الهلال العسكري،(1994م)،ديوان المعاني، ت/أحمد حسن بسج، بيروت،دار الكتب العلميّة،ط1.
7. خالدي أميرة و الجعفريأحمد، (2019م)، نفث القلم شرح لامية العجم للطغرائي، جامعة احمد دراية، أدرار، الجزائر.
8. أحمد مصطفى المراغي، (1992م)،علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، بيروت لبنان،دار الكتب العلميّة.
9. محمد بن يوسف أطفيش ،(1982م)،الانشراح في بيان شواهد التّلخيص والمفتاح، مكتبة القطب أطفيش، بني يزقن، غرداية، مخطوطة.
10. الخطيب القزويني،(2003م)، الإيضاح في علوم البلاغة، ت/ إبراهيم شمس الدّين، بيروت،دار الكتب العلميّة.
11. الجرجاني عبد القاهر، (1992م)، الإعجاز في علم المعاني ، مصر، مطبعة المدني القاهرة، ط3.
12. الدّراويش حسين، علوم البلاغة العربيّة في مقدمة ابن خلدون-دراسة تحليليّة. فلسطين جامعة النّجاح نابلس.
13. دبوز محمد علي، (1995م)،نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزائر، المطبعة التّعاونيّة.

6. ملاحق:

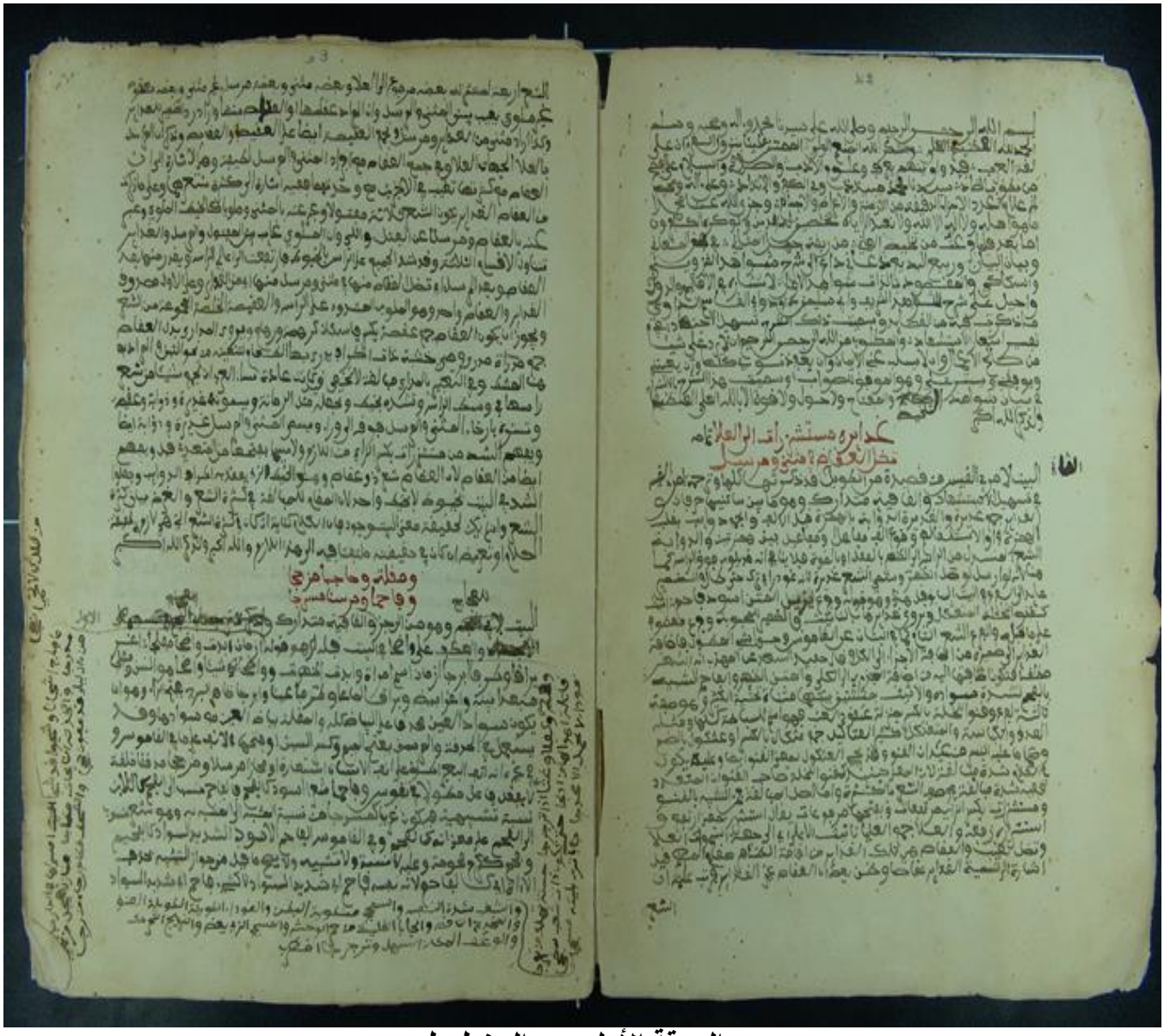

الورقة الأولى من المخطوط

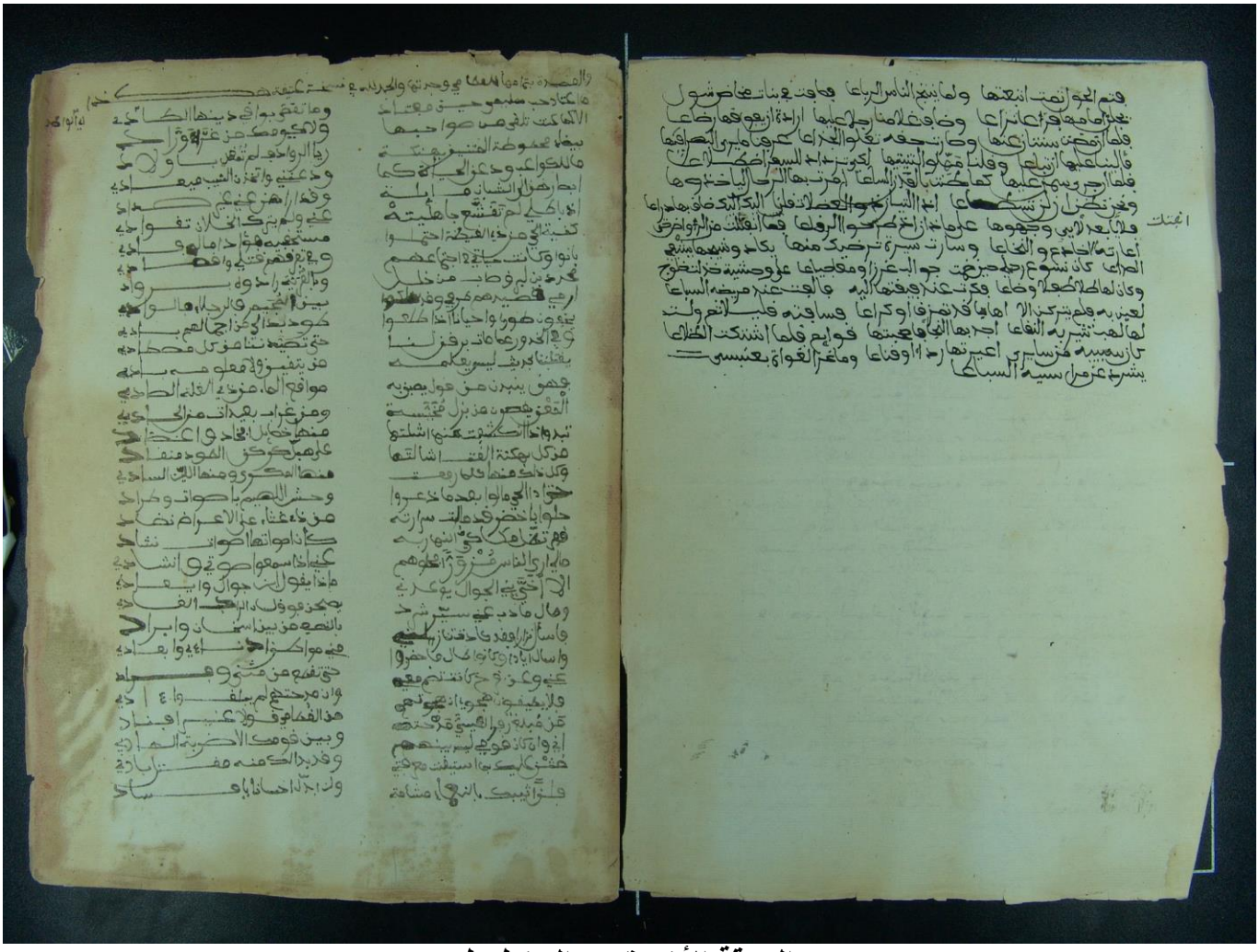

الورقة الأخيرة من المخطوط